

الآثار الصحراوية الجزائرية على ضوء مجلة الدراسات الأثرية Algerian Saharan archaeology in the light of the Journal of Archaeological Studies

أ.د. / هجيرة تمليكشت

مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط الجزائر LECMMA بجامعة الجزائر2

معهد الآثار - جامعة الجزائر2.

البريد الالكتروني: hadjira.tamlikecht@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/12/10م. تاريخ القبول: 2025/01/06م. تاريخ النشر: 2025/12/31م.

الملخص:

تكتسي الآثار الصحراوية الجزائرية أهمية خاصة في حقل الدراسات الأثرية، باعتبارها تعكس أحد أبرز مقومات تراثها المحلي، وقد بدأ الاهتمام بدراستها منذ بضعة سنوات وكان لمعهد الآثار بجامعة الجزائر2 السبق في ذلك، بإدماجها ضمن تخصصات ما بعد التدرج بدءا من سنة 2008م، الأمر الذي سمح بظهور باحثين أكاديميين متخصصين في هذا المجال، كما كان لبعض الاساتذة السبق في ذلك كالأستاذ الراحل علي حملاوي رحمه الله والأستاذ محمد الطيب عقاب، كما انجزت عدة رسائل جامعية وابحاث نشر بعضها بمجلة الدراسات الأثرية التابعة لمعهد الآثار.

سنحاول تسليط الضوء على كل الأبحاث العلمية التي نشرت بهذه المجلة منذ تأسيسها، مع تخصيص بطاقة قراءة لكل مقال.

الكلمات المفتاحية: الآثار الصحراوية الجزائرية؛ القصور الصحراوية؛ مجلة دراسات أثرية؛ الأبحاث الأكاديمية؛ التراث المحلي.

Abstract:

Algerian desert archaeologies is of particular importance in the field of archaeological studies, they reflect one of the most prominent components of its local heritage. Interest in studying them began a few years ago, and the Institute of Archeology at the University of Algiers2 was the first to do so, by integrating them into the post-graduate specializations starting in the year 2008 AD, which allowed the emergence Academic researchers specialized in this field, and some professors were pioneers in this, such as the late Professor Ali Hamlaoui, and Professor Muhammad Al-Tayeb Akab. also completed several university theses and articles, some of which were published in the Journal of Archaeological Studies of the Institute of Archaeology.

We will try to introduce all scientific research published in this journal since its founding, while allocating a reading card for each article.

Keywords: Algerian Saharan archaeology; Desert ksors; journal of archeological studies; local heritage.

1- مقدمة:

التعريف بمجلة دراسات أثرية

مجلة "دراسات أثرية" - آثار - هي منشور علمي اسسه معهد الآثار - جامعة الجزائر2- سنة 1992، تجمع بين الأعمال البحثية من مختلف مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية وكذلك العلوم المرتبطة مباشرة بعلم الآثار الحديث، منشوراتها معترف بها من قبل المجتمع العلمي ومراجعتها تحظى بتقدير كبير من قبل جميع الباحثين في مجالات التحقيقات المختلفة: علم الآثار والتاريخ وعلم الاجتماع والإثنوغرافيا والفلسفة وعلوم الأرض والعلوم المساعدة... لهذا الغرض، فإن مجلة «آثار» مخصصة لجمهور واسع من آفاق مختلفة. يستفيد مجتمع الجامعة والمنتسبون إلى مراكز البحوث والمجال الثقافي أولاً من الأعمال المنشورة. تصدر المجلة بانتظام سنويا خلال شهر ديسمبر، وباللغات الثلاث: العربية والفرنسية والإنجليزية¹.

2- عرض الأبحاث العلمية:

خلف محمد نجيب، مدخل لدراسة القصور الصحراوية_ المدينة الصحراوية²:

استهل الباحث موضوعه بالإشادة إلى دور علم الآثار في كتابة التاريخ، مع اشكالية شح الوثائق المكتوبة، وان توفرت فهي تقتصر على سرد الاحداث السياسية والحربية، وتخصص اهتماما للملك دون الحاشية، والنوع الثاني تسلط الاضواء على الممالك والمسالك والمدن وتغفل الحديث عن القرى والمدن الداخلية، وبالتالي فدراسة الاثار الصحراوية تستلزم عمل متكاتف ومزيد من الاطلاع على المخطوطات العامة منها والخاصة، ثم تمحيص المادة العلمية ونقدها وتصويبها، والتي غالبا ما دونت لظرف معين من الزمن. فالمنهج الاثري (على حد تعبيره) هو الكفيل بإعادة كتابة تاريخ المنطقة باعتماد الأبحاث الميدانية والصور الجوية والخرائط التي تمكننا من معرفة مراحل بناء القصور.

1- عن الموقع الرسمي للمجلة. asjp// revue d'études Archéologiques.

2- خلف محمد نجيب، 1998م، ص ص. 60-72.

بعدها تطرّق للمشاكل التي تقف حائلا امام كل مختص يود دراسة عمران القصور الصحراوية.

- 1- تأخر الدراسات الحديثة في مجال الآثار الصحراوية عن مثيلاتها في التخصصات الأخرى.
- 1- قلة المتخصصين بدراسة هذه الآثار اثناء وبعد الفترة الاستعمارية.
- ب- انعدام الاختصاص عند من قام بالتنقيب حول آثار المنطقة.
- ج- جل الاجانب الذين اهتموا بدراسة هذه الآثار جاؤوا لأغراض لا صلة لها بالدراسة الأثرية الاكاديمية، ومع ذلك قدموا لنا معلومات لا يستهان بها، لكن عدم تمكنهم من المنهج الاثري في التنقيب وقلة معرفتهم لتاريخ المنطقة طبع دراستهم بالوصفية، ومن بين هؤلاء الباحثين:

هارولد تاري- بول بلانشي- مارغريت فون برشم- من أوائل من قاموا بزيارة سدراة.

- 1- هارولد تاري 1881م جاء للمنطقة كعضو في لجنة السكة الحديدية العابرة للصحراء، وقام بعدة اعمال هناك كإزالة الرمال على بعض المعالم والمساكن وقد ترك لنا معلومات مهمة الا انه لم يعتمد المنهج الاثري ولم يترك تقارير، وحتى المخطط الذي رسمه والصور التي التقطها والوثائق التي جمعها ضاعت.

الأستاذ بلانشي 1898م: كان مدرس بثانوية قسنطينة، قام بإزالة الرمال عن الجزء الذي عمل فيه تاري الا ان مشروعه لم يكتمل اذ وافته المنية عام 1899م.

مرغريت فون برشم من أشهر من نقبوا بسدراة اشتغلت بدراسة الآثار، زارت الجزائر عام 1947م، وقامت بحملتين من الحفر 1951م-1952م، اعتمدت التصوير الجوي والتصوير الافقي، ومع ذلك ظل عملها ناقصا لعدّة أسباب:

- قصر مدة البحث.
- قلة الحملات التنقيبية (اثنين فقط).
- اعتمادها في التنقيب على ايدي عاملة غير متخصصة.
- العمل الفلسفي الإيديولوجي: استغل علم الآثار في العهد الاستعماري على تحقيق أغراض سياسية معينة كتأييد النظرية القائلة بأنّ الجزائر فرنسية وأنّ فرنسا سليلة الرومان، وهو الأمر الذي جعل المواقع القديمة تحتل الصدارة في البحث وإهمال الفترات الإسلامية.

ثالثا: يعترض الباحث في ظاهرة عمران القصور عائقا كبيرا جعل دراسته في بعض الأحيان مستحيلة، يتمثل في هشاشة المادة البنائية لهذه المعالم، واستدل في ذلك بالقصور التي قام بزيارتها ببشار وورقلة والتي كانت في حالة متقدمة من التدهور بتأثير العوامل الطبيعية.

وان محاولة وضع مخطط لمرحلة النشأة او التأسيس لكثير من القصور يعد مستحيلا كون بعضها مازال مسكونا او هجر خلال الثمانينات والتسعينات، فبفعل الاضافات التي طرأت عليها عبر الاجيال واعمال الترميم والإضافات أثر على تغيير ملامحها الاصلية.

وانطلاقا من هذه الظاهرة تتجلى أهمية دراسة القصور التي هجرت في فترة محددة كقصر سدراة الذي هجر بفعل جفاف الآبار، ولحسن الحظ انه غطته الرمال مما ساهم في ابقاءه على طابعه الاصيل. ختم الباحث بضرورة توجيه اعمالنا العلمية كعلماء اثار في تقديم المعلومات للمهندس المعماري ومهندس مواد البناء والاختصاصات الاخرى لتتضافر الجهود على توفير الحلول العلمية السليمة لإعادة احياء القصور.

عزوق عبد الكريم، علي حملاوي، تحريات بمنطقة متليلي³:

يعتبر هذا المقال بمثابة تقرير علمي عن الرحلة الميدانية التي قاما بها الاستاذان بمنطقة الدراسة وهي موجهة لتحضير الاعمال الميدانية لطلبة معهد الآثار، وبالتالي سجلا للملاحظات الاولية وهي كما يلي:

1- **القصر القديم بمتليلي:** لفت انتباه الرحالة الاجانب خلال النصف الثاني من القرن 19، يعود الى القرن 5هـ/11م، بناء على العناصر المعمارية الموجودة ببيت صلاة الجامع العتيق، كالدعامات والعقود الحذوية الشبيهة بتلك التي عرفت بالجوامع المرابطية، وشيد القصر على سفح جبل يعلو قمته الجامع العتيق تلتف حوله البيوت بطريقة تنازلية، ويحيط القصر سور قديم تتخلله مداخل رئيسية وتحتوي على مداخل البيوت على ابواب خشبية، واستعملت الحجارة كمادة بناءية.

2- **قصر أودي لديد:** من القصور النادرة والمهمة التي تحتاج إلى بحث معمق وحفرية أثرية عاجلة وحسب ما تم جمعه من ادوات حجرية يعود إلى العصر الحجري القديم، وتتمثل الادوات في شظايا مختلفة.

وأشارا في النهاية إلى أنهما تمكّنا من معرفة أسماء مواقع أخرى من خلال المعلومات المستقاة من أبناء المنطقة.

أنهيا مقالهما بجملة من التوصيات: كتصنيف القصر القديم- إعداد بحث معمق حول قصر متليلي- النظر في تنظيم حفرية - النظر في انشاء متحف جهوي يضم المقتنيات الموجودة بعين المكان.

شايد يسمينة، فرحات نجيب، "مقبرة البقریات لموقع منخور بالصحراء الوسطی"⁴:

3- عزوق عبد الكريم؛ علي حملاوي، 1998م، ص ص. 12-15.

4- شايد يسمينة؛ فرحات نجيب، 1999م، ص ص. 97-106.

استهل البحث بالتعريف بموقع منحور الأثري الواقع على أحد المنافذ الجنوبية لهضبة الطاسيلي ناجر المطلّة على منطقة التادرارت، تكون حوض منحور خلال الأزمنة الجيولوجية السابقة للزمن الرابع، ثم وصف المقبرة الحيوانية والتي تتربع على مساحة 80 هكتار، وتتخذ القبور شكل دائري أو شبه دائري.

النتائج الأولية للدراسة المورفولوجية: مكنت الباحثان من الوصول إلى وجود 14 ثور موزعين على حفر بطريقة الدفن الفردي

وتوصلت الدراسة إلى اختلاف مقاسات الاطراف المدفونة وأحيانا شكل عظامها، ممّا يؤكّد وجود سلالتين على الأقل، تلحق السلالة الأولى بالجاموس الافريقي، والثانية بالثور البدائي.

وقد دعّمَا هذه الفرضية بالتنوع الواضح في أشكال البقريات المطلية على جدران مخابئ الصحراء الوسطى، كما اجتهد الباحثان في محاولة تحديد أعمارها.

التأويلات الثقافية الممكنة: بالنسبة لطريقة الدفن المتعمدة لها علاقة بالمعتقدات القديمة لرعاة البقر، واستنادا إلى ما أشار إليه "امادو امباني باه" أنّ الرسومات الخاصة بالأبقار تكشف عن عبادة الثور «إله المعرفة»، وبالتالي يمكن اعتبار الصحراء الوسطى كمركز إشعاع حضاري قديم لاستئناس البقر والاعتقاد فيه، وكان لهذا المركز إمدادات نحو الشرق كمصر⁵ والسودان، أمّا في الجزائر فقد استمرّ تأليه الثيران إلى العهد الروماني المسمّى بالإله "قورزيل" يحفظ المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة بتمثال له.

علي حملاوي، وضعية الآثار بمنطقة وادي ريغ الجنوب الشرقي الجزائري⁶:

استهل البحث بالإشادة إلى أهميّة منطقة وادي ريغ من حيث غناها بالمواقع الأثرية، وبالتالي تشكّل أرض بكر للدراسات الأثرية، ثمّ موقعها وصفها من طرف المصادر بعدها تطرق لدراسة نماذج من هذه القصور.

1- قصر مستاوة: يقع بمدينة تقرت، من أقدم القصور التي حافظت على طرازها المعماري، إلاّ أنّه تحطّم تحت الجرافة.

2- قصر برنوبة: يقع جنوب بلدة سيدي عمران، ويشكّل حلقة مفقودة لأنّ الروايات الشفوية هي المصدر الوحيد الذي يذكره، والذي يشكل همزة وصل بين السلطة العثمانية بقسنطينة وأهالي وادي ريغ، ومن خلال تخطيطه ومساحته ومواد بناءه نستدل على أنّه بناية دفاعية، أمّا حالته الراهنة فيرثى لها.

5- من بين الآلهة المقدسة لدى الفراعنة البقرة هاتور.

6- علي حملاوي، 1999م، ص ص. 107-114.

3- قصر اسفاو: يقع على بعد كيلومترات شمال تمرنة الجديدة، وسمي بذلك نسبة لموقعه المنخفض، لم يبق من آثاره المغمورة تحت الرمال سوى الأجزاء العلوية لبعض الأسوار، ويبدو أنه كان ينتمي إلى مجموعة القصور المعروفة باسم un grenier fortifié. التي كانت تتخذ كمخزن للمؤن، وأشار في الأخير إلى أنه حاول تقديم لمحة وجيزة عن بعض المعالم التي تزخر بها منطقة الدراسة، بهدف لفت اهتمام الباحثين إلى دراستها باعتبارها تمثل صورة عن ابداع البربر الهندسي، ونماذج حيّة عن الجغرافية العمرانية للقصور الصحراوية.

عزوق عبد الكريم، دراسة نموذجية لبعض المباني بقصر ورقلة⁷:

استهل تقديمه للبحث بالإشارة إلى أهميّة هذا القصر بمنطقة الجنوب الجزائري، ممّا يستلزم دراسته ثمّ قدّم لمحة عن قصور منطقة ورقلة وهي قصر سيدي خويلد، قصر نقوسة، قصر الحجيرة وقصر بغداد وهي قريبة من القصر المركزي "موضوع الدراسة". ويعتقد بعض الباحثين الأوروبيين أمثال Berthelot ان القرمانت هم الذين بنو القصر الذين وصفهم كلّ من هيرودوت وسترابون، وعليه نرجّح أنّ بناءه ربّما يعود إلى الفترات القديمة، مع أنّه يشمل أكثر من ظاهرة معمارية اسلامية؟

أمّا عن أهميّة دراسة القصور الصحراوية: تؤدّي بنا حتما إلى البحث عن المستوى الحضاري والاجتماعي والثقافي الذي من خلاله نستطيع التّعرف على المستوى العمراني.

إشكالية دراسة القصور الصحراوية:

مميّزات القصور الصحراوية:

ثمّ تطرّق لدراسة نماذج من مباني قصر ورقلة وهي: المدرسة القرآنية بسيدي جلول-زاوية سيدي عبد القادر - ثم مسكن تقليدي.

وبالتالي فقد ساهمت هذه الدراسة في تسليط الضوء على الخصائص المعمارية لبعض مباني القصر الصحراوي.

علي حملاوي، البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة، وادي ريغ نموذجا⁸:

حاول الباحث من خلال مقاله ربط العلاقة بين الإنسان الصحراوي وبيئته، ومختلف العوامل التي ألزمت البناء مراعاتها في تصميم مبانيه.

وقد استهله بعموميات من تحديد الإطار الجغرافي لمنطقة وادي ريغ وطبيعتها الجغرافية، مشيرا الى ان المنطقة احتوت على العديد من المقالع منها الحجرية، الجيرية ومقالع الطين

7- عزوق عبد الكريم، 2007م، ص ص. 108-118.

8- علي حملاوي، 2008م، ص ص. 57-73.

الجيد وأشجار النخيل إضافة إلى المياه الجوفية وهي عوامل كلّها ساهمت في ظهور العمران وتطوره بالمنطقة.

أثر البيئة في اختيار مواد البناء: أشار إلى أنّ المنطقة جرداء قاحلة، تصعب فيها الحياة، فالحرارة كانت أولى اهتمامات البناء في البحث عن الحلول وسبل الراحة، كإطالة الجدران وتسقيفها "الساباطات" للحصول على نسبة عالية من الظل، مع تزويد المساكن بفناءات دورها إعادة إشعاع كمّيات الطاقة الشمسية التي اختزنتها في النهار، وتخزين الهواء البارد للاستفادة منه في اليوم الموالي، كما بنيت البوائك التي تتقدّم الغرف وتفتح على الفناء لتصبح المكان المفضل لأفراد الأسرة لممارسة نشاطاتها المنزلية، وأثرت البيئة على تشكيل مواد البناء المتمثلة في الطين، الطوب والملاط للرّبط بين أجزاء الجدران، إلى جانب الحجارة الكلسية، وهي المادّة الخام لاستخراج الجبس "تبشمت" يؤتى بها من المقالع القريبة وتعرف بـ "المقطع" أمّا الحجارة فيقلّ استعمالها لندرتها من جهة، ولأنّ معظم المباني شيّدت على هضبة صخرية صلبة تشكل أسس المباني.

بعدها تناول بالتفصيل مختلف مواد البناء المشار إليها من تعريفها، خصائصها، طرق صنعها، طرق صناعة الملاط الطيني.

عبد الكريم عزوق، دور القصور الصحراوية في التنمية السياحية⁹:

تطرّق الباحث من خلال هذه الورقة إلى موضوع هام يرتبط بثمين القصور الصحراوية وسبل استغلالها في التنمية السياحية باعتبارها موروث حضاري محض يعكس تراثنا المحلي، وتطرّق أيضا إلى نقطة جوهرية هامة وهي ما مدى قدرة الإنسان الصحراوي في التكيف مع البيئة المحلية ومدى توفّقه في انتقاء مواد البناء وأسس هذا العمران واختار "قصر ورقلة" نموذجا للدراسة، واستهلّ ذلك بالنّظر إلى إشكالية دراسة القصور الصحراوية المتمثلة أساسا في انعدام المعطيات التاريخية واندثار بعض القصور، وما نقله إلينا الباحثون الأجانب ارتبط بصفة خاصة بالجانب الاجتماعي من عادات وتقاليد السّكان دون وصف العمائر.

بعدها تناول أهمّ مميّزات هذه القصور من حيث الموقع - مواد البناء - التخطيط.

ليتنظر بعدها إلى أهمّية القصر كتراث معماري: مشيرا في البداية إلى الحالة التي آلت إليها هذه المعالم، ومع ذلك فما تبقى منها شهد على أصالة فنّها المعماري، مع استراتيجية مواقعها، وتخطيط مرافقها المستقى من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف، وتكييفها مع المناخ السائد.

9- عبد الكريم عزوق، 2008م، ص ص. 75-86.

القصر معلما سياحيا: نوه هنا إلى ضرورة إدخال تعديلات على القصور وتجهيئتها بمختلف الهياكل التي تمكّنها من استقطاب السّياح سواء من الداخل أو الخارج واختصر ذلك في النقاط التالية:

- خلق ديوان خاص بتسيير القصر.
- إنشاء مركز للمخطوطات أو فرع لمكتبة بلدية ليكون القصر مركز إشعاع علمي.
- تكييف القصر وفق الإمكانيات الحديثة من قاعة أنترنت، مخادع هاتفية لتسهيل عمليات التّواصل للسّياح داخل القصر.
- توفير وسائل النقل.
- تنظيم اتّفاقيات بين ديوان القصر ومختلف المؤسّسات التّربوية، والتّسيق مع مختلف الوكالات السّياحية لاستقبال السّياح وبرمجة زيارات لهم.
- وقد دعّم كلّ هذه المقترحات بجدول افتراضي تقريبي لما يمكن أن يوفّره القصر الواحد من مناصب الشّغل.

بن نعمان اسماعيل، نظرة على القصور الصحراوية من خلال بعض مقالات الأستاذ الدكتور علي حملاوي رحمه الله¹⁰:

تناول الباحث أحد أعمدة العمارة الصّحراوية التي ينتمي إليها ومؤسّس تخصص الآثار الزّيفية والصّحراوية بمعهد الآثار، وهو الأستاذ علي حملاوي رحمه الله فكانت رسالته الجامعية للدكتوراه حول قصور منطقة جبال عمور، كما ترك لنا رصيذا علميا هامّا حول القصور الصّحراوية، تمثل في مجموعة من المقالات نشرت في دوريات جزائرية وعربية، إلى جانب مشاركاته في الملتقيات الوطنية والدّولية بموضوع القصور الصّحراوية الجزائرية، وتناول الباحث مقالين للأستاذ وهما:

1- "القصر بالجنوب الجزائري: مفهومه ومكوناته"، في حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 10، 2001م، صفحات المقال: 31-53.

2- "البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة، وادي ريغ نموذجا"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 6، العدد 1، 2008م، صفحات المقال: 57-73.

Ain Sebaa Nadjet, Les gravures de serkout, une expression artistique du Sahara central¹¹:

تناولت الباحثة نقوش منطقة سرکوت بالآهقار، والتي يشمل أربعة مواقع.

10- Hind Amel Mostari بن نعمان اسماعيل، 2010م، ص ص. 23-28.

Ain Sebaa Nadjet, 2011, pp. 04-12. -11

ثم أشارت إلى أنّ أغلب المواشي وجدت بواد وسيلي وتين تموروالين، ونجدها بنسبة أقل بواد فيك وغائبة تماما بتيفيناغ وتهوهاوت.

وأنّ الفيل والحصان والجاموس القديم وإن كان فريدا من نوعه، إلاّ أنّه الوحيد الذي وجد بالأهقار، أما باقي الحيوانات التي نقشت على الصّخور كالصّبي، الزّرافة النّعام، وحيد القرن، الجمال لا تحتاج إلى تعليق، مقارنة مع الأشكال النّادرة للأسود والكلاب والنّعابين، أشارت أيضا إلى أنّ مؤلّفي الفن الصّخري حاولوا استنساخ هذه الصّور الجدارية إلاّ أنّها كانت سطحية، كما نوهت أيضا إلى غياب عنصر النباتات في هذه الصّور.

الأنماط: هناك تنوع كبير في الأسلوب مع تمثيل التفاصيل التشريحية، والتعبير عن الحركة، ولدينا لوحة تمثّل بعض المشاهد الريفية تجمع بين الماشية أو الأسود أو النعام.

وبالنّالي نميّز مجموعة من الصّور الواقعيّة وأخرى محوّرة عن طبيعتها.

التقنيات والفنون: نميّز 3 تقنيات في رسم الخطط.

التسلسل الزّمني النسبي: نميّز 3 أنواع من النقوش مجموعة نقوش ذات أشكال الباتينا الطبيعية، مجموعة النقوش الغائرة أو المحزّرة تمثّل شخصيات ذات ميل طبيعي من باتينا داكنة.

نقوش جبل سرکوت وهي 400 جدارية وهي جزء من البيئة الصحراوية المألوفة، ويسمح انتشار الماشية بتحديد منطقة رعية شاسعة، إلى جانب بعض الشّخصيات كالنّساء، العناصر الحيوانية، وتناول المواضيع بصيغة متكرّرة، ومن ناحية أخرى نميّز أنواع جديدة كأعناق الزّرافات المنطوة، وتمثيل الحصان وهو تشكيل نادر، وتكمن الإجابة في التكوين الجغرافي للمنطقة وعزلها إلى حدّ ما عن المساكن الصّخرية، ممّا أكسبها خصائص متفرّدة.

Boukhenouf Arezki; Fillah Mohamed el Mostafa, Contribution a l'etude d'Adobe composant les structures des K'sours Timacine et Nezla¹²:

استهلا المقال بتحديد موقع قصور نزلا وتيماسين الواقعان على امتداد وادي ريغ، ووصف عام لهما وتطرّقا إلى تقنيات صناعة الطوب اللبن، من المواد الأولية المشكلة، تشكيل الطوب اللبن، تقنيات البناء.

تطرّقا فيما بعد للدراسة التحليلية المخبرية واستهلا ذلك بالدراسة التّقنية لحالة القصور والخاصية الشّعيرية، تبلور الأملاح واختيار خليط التربة، عامل النقل، ثمّ العامل الإنساني، عدم التّوافق في التّسيق بين المواد، الاستخدام غير السّليم والأضرار النّاجمة عنه.

التوصيات: سجّلا في النّهاية جملة من التّوصيات أهمّها:

- يجب تشخيص اللّبن للحصول على أفضل استنساخ من حيث القوّة الميكانيكيّة.

- إعادة استخدام التربة الناتجة عن تدمير نفس الطوب اللبن لتشكيل قوالب طوب جديدة.
- ترميم الهياكل المتدهورة مع احترام العمارة القديمة باستخدام نفس المواد.
- تنظيف قنوات صرف المياه لتسهيل تدفق المياه ومنع حدوث الخسائر الشجرية.

بعيطيش عبد الجميد، المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية¹³:

استهلّ مقاله بعرض أهمّ نتائج البحوث الأثرية في الصحراء الجزائرية، من مجهودات الغربيون الذين اهتموا بالفنّ الصخري. كما استعرض نشاط كلّ باحث، لينتقل بعدها إلى أهمّية دراسة النقوش الصخرية، باعتبارها من المصادر الرئيسية التي استقى منها المؤرّخون والباحثون كلّ ما دون عن تاريخ الجزائر القديم، ثمّ حدّد الإطار الزماني للنقوش والرسومات الصخرية مشيراً إلى أنّ منطقة شمال إفريقيا تعتبر إحدى أقدم المناطق التي عرفت بداية العصر الحجري الحديث مبكراً.

أمّا عن طبيعة هذه النقوش الصخرية فهي تختلف من موقع لآخر، وقد تشمل مجموعة العناصر المتجاورة أو المتداخلة، والتي من شأنها تمكّنا من معرفة مختلف انماط السلوك الاجتماعي للجماعات البشرية التي عاشت بالمنطقة، وأساليب الحياة المعيشية والاقتصادية المختلفة، إلى جانب المعتقدات التي كانت سائدة ومع ذلك فإنّ دراستها ما تزال في مراحلها الأولى، وتمتدّ هذه الرسوم إلى فترات كلّ واحدة منها تمثّل حياة حيوانية معيّنة.

- **الفترة الطبيعية:** تعود للعصر الحجري الحديث أو عصر الصيادين، جسّدت فيها: الفيلة و فرس النهر، وكانت مشاهد عمليّة الصّيد طاغية على الرسوم.

- **الفترة القديمة أو العتيقة:** تعود إلى الألف الثامنة قبل الميلاد، معظم مشاهد الرسوم مركّبة من الألوان، والحيوانات المرسومة كثيرة وتناسب مع المناخ الرطب.

- **فترة رعاة البقر:** تمتدّ من 4000 إلى 1500 سنة ق.م، وهي الأهمّ من حيث عدد الرسوم المحفوظة تتميّز في أشخاص وقطعان الأبقار ومشاهد من الحياة اليومية، بلغت المشاهد قمة المهارة والإتقان.

- **فترة الخيول:** تعود لنهاية العصر الحجري الحديث، تصادف اندثار العديد من الأنواع الحيوانية بسبب الجفاف، كما تتميّز بظهور الحصان.

- **فترة الجمال:** بدأت في القرون الميلادية الأولى تتصادف مع ظهور الجمل، تتميّز بكثرة النقوش الصخرية وتعدد التقنيات كالحز والتقطيط.

13- بعيطيش عبد الجميد، 2013م، ص ص. 66-77.

أما أبرز أنواع الفن الصخري فتمثلت في الرسوم الأدمية، ونميز فيها أشكال ادمية ذات الرؤوس المستديرة، والأشكال الأدمية ذات الرؤوس المقنعة، الأشكال الأدمية الواقعية، الأشكال الأدمية التخطيطية التجريدية.

الرسوم الحيوانية: تمثلت في: الأبقار، الفيل، وحيد القرن، فرس النهر، النعام، التماسيح، الأسماك، إضافة إلى الجاموس، الأسد، الفهد، الحمار الوحشي، والأرؤى، والزرافة.

الأسلحة: تمثلت في: الأقواس والسهام، الرماح، الخناجر.

الوسوم والعلامات والرموز: والتي نلمسها من خلال الألوان المستعملة ونوع الاقنعة.

فالنقوش الصخرية أمدتنا بمعلومات هامة حول سكان الجزائر ومدى علاقتهم بالحيوانات التي تتباين بين التقديس والصراع والمنفعة، كما أظهرت براعة الفنان في تجسيد الأشكال بأحجامها الطبيعية، وبالتالي ذوقه الفني، والمواضيع التي كانت تشغلهم، وبالتالي أنماط الحياة والأعراف والتقاليد وثقافتهم ومعتقداتهم.

أوبراهيم جوهر، المسكن من خلال الرسومات الصخرية بالطاسيلي أزجر¹⁴:

يكتسي الموضوع أهمية خاصة باعتباره يسلط الضوء على أقدم الأدلة الأثرية للمسكن بمنطقة شمال إفريقيا، حيث تمكن الباحثون من إعادة تشكيل وتصوّر شكلها بالصين وإفريقيا الشرقية والجنوبية وفي أوروبا، أما بشمال إفريقيا فأقدم الأدلة تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل خاصة بموقع عين لحنش بالعثور على بقايا حجرية مرتبة توحى بعملية التخليط.

شغل الإنسان بهذه المناطق خلال العصر الحجري القديم المتأخر الملاجئ الصخرية والمغارات خاصة بالمنطق الساحلية والشرقية، واتخذ بالصحراء الوسطى خاصة الطاسيلي أزجر وعرف المسكن تطورا عبر الزمن، وأشارت إلى أهمية الرسومات الصخرية في تجسيد أنواع المساكن، المتمثلة في الزرائب أو الخيم منذ المرحلة الرعوية، وعن شكل المسكن فعلى غرار الكهوف والمغارات، ويبقى شكل المساكن خلال عصري النيوليتي وفجر التاريخ غير معروف، وبفضل الفن الصخري وما يحويه من مواضيع متنوعة، يبدو أنّ تطوّر المسكن في التركيبية والهيئة، اتخذ أشكالا متنوعة وألوانا متعددة، منها الزريبة المشكّلة من الحجارة والتربة والأغصان النباتية، أو من الجلد وبأعمدة خشبية، كما حاولت تنميط هذه الزرائب على النحو التالي: مسكن ذو شكل بيضاوي- مسكن شبه دائري أو على شكل حبة فاصولياء- مسكن نصف بيضاوي- مسكن دائري- مسكن مستطيل الشكل- مسكن مربع مع المرحلة الفنية التي ينتمي إليها كل نمط بإرفاق جدول توضيحي.

14- أوبراهيم جوهر، 2015م، ص ص. 08-15.

صفر يون حسيبة، كانت البريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة¹⁵:

تعتبر الباحثة متخصصة في عالم المرأة البربرية إن صحَّ التعبير وتجسيد الأنثى أو رمزياتها على رسوم الطاسيلي، حيث كرست بحوثها المعمقة في التعرف على جنس المرأة في الرسوم الطاسيلية بالاستعانة بعدة علوم مساعدة، كالأبعاد الثنائية المجسدة في الرسوم الصخرية وبالتالي قراءة سننها التقريبي وتاريخها البيولوجي، كمارستها لوظيفة الحمل والإنجاب ثم الأمومة والرضاعة.

وقد حاولت في هذا السياق قراءة بعض المشاهد البوفيدية الأنثوية المرسومة في هضبة الطاسيلي، ثم تحليل المظهر الفسيولوجي للمرأة الحامل وعاداتها، الطلق ووضعيات القذف. وأشارت إلى أن الرسوم التي تمثل المخاض في هضبة الطاسيلي قليلة جدًا، ووفرة المشاهد التي تمثل الحوامل، وقامت بتحليل المشاهد التي جسدت في تافوني يمثل أنثيين أثناء الطلق وذكر وتوصلت إلى أنها تمثل أقدم عيادة للتوليد بتين تزاريفت.

محمد بيدي، دور قصور الجنوب الغربي الجزائري في تجارة الصحراء ببلاد المغرب الأوسط، خلال القرنين 7-9هـ / 13-15م¹⁶:

استهلّ الموضوع بتحديد الموقع الجغرافي للدولة الزيانية وعلاقة قصور الجنوب الغربي بتلمسان الزيانية التي كانت تتحكّم في الطرق التجارية وبالتالي شهدت تطوّرًا، فهي تقع على الطريق المحوري الرّابط بين إفريقيا الغربية (الجنوب الغربي) من جهة وبين تلمسان وبلاد الأندلس من جهة ثانية، أمّا أهمّ الطرق فهي:

الأوّل: من تلمسان إلى تازة ففاس فتادلا فشعب الصفا ومنها إلى تقرّيش ثمّ إلى سجلماسة.

الثاني: يربط بين تلمسان وتوات عبر وادي مفروش باتجاه سبدو ومنها تتّجه القوافل نحو بلاد السودان الغربي، وهناك طريق غدامس غات إلى إبير ومنها إلى مملكة الحوصة.

فكان المغاربة يمرّون من تونس وطرابلس وتديكلت وقورارة وتمنطيط ثمّ عين صالح ومشربة وعين الصّفراء وفاس ليصلوا إلى عواصم السودان الغربي، فصحراء الجنوب الغربي بالمغرب الأوسط بها قصور متعدّدة أطلق عليها منطقة جبال القصور تمتدّ من المشرق نحو المغرب محطّات لاستراحة القوافل التجارية المتّجهة نحو المغرب إلى بلد مالي من السودان الغربي لهذا العهد ومن مالي إليه، وقد واجهت التجارة مع بلد السودان عدّة مشاكل في الطرق كالحوانات الضّارية وشدّة الحرارة وقلة المياه، ممّا جعلها تشتدّ في فصل الشّتاء وزاد التأثير والخطر في

15- صفر يون حسيبة، 2015م، ص ص. 16-26.

16- محمد بيدي، 2016م، ص ص. 320-324.

القرن 9 هـ. / 15م بضعف قوة ممالك السودان الغربي، وارتفاع الخطر المحدق بالقوافل التجارية.

3- الخاتمة:

تصدّرت الآثار الصحراوية الجزائرية الأعمال العلمية التي نشرت بمجلة "دراسات أثرية"، بمواضيع مختلفة غطت مختلف المراحل التي تعاقبت عليها منذ فترات ما قبل التاريخ باعتبارها تشمل مواقع تشكّل متحفا مفتوحا على الهواء ويوثق أقدم الحضارات الإنسانية التي تعاقبت عليها، الأمر الذي لفت انتباه بعض الباحثين الجزائريين الذين اهتموا بدراسة الرسوم الجدارية من النقوش الصخرية على اختلافها ومحاولة تأريخها حسب المواضيع المجسّدة، ومختلف الحيوانات التي جسّدت عليها وبالتالي معرفة البيئة السائدة في كلّ فترة، وموضوع مقبرة البقريات التي عرف سكان الصحراء الوسطى استثناسها وكانت معبودتهم وحتى طرق الدفن، والمشاهد التي تجسّد شكل المسكن الأول ومراحل تطوّره، وحتى عالم المرأة ومظهرها الفيسيولوجي من حمل، طلق، وأولى العيادات.

إلى جانب عمارة القصور ودراسة بعض معالمها التي تشكّل موروث معماري محليّ فريد في بابه يعود تاريخ بعضها إلى الفترات القديمة واستمرت هذه العمارة التقليدية إلى فترة قريبة، مع الإشارة إلى أهميتها خلال فترة تأسيسها ودورها في تجارة الصحراء، كما تناولت وضعية بعض هذه القصور لا سيما تلك الخاصة بمنطقة وادي الرينغ التي تصارع عوامل الزمن ممّا يستدعي إعادة بعثها من جديد وتنمينها ودراستها، ثمّ موضوع البيئة المحلية ومدى تأثيرها في تصميمها وانتقاء مواد البناء، ودراسة بعض مواد البناء كالطوب اللبن، كما شملت تقارير لبعض الزيارات الميدانية لهذه القصور بغية التعريف بها وتوجيه الطلبة والباحثين الأكاديميين لدراستها، وكذا السلطات المحلية لحمايتها والبحث عن السبل الكفيلة للنهوض بها، خاصّة وأنّها تشكّل إحدى أهمّ المقومات السياحية في بلدنا.

قائمة الببليوغرافيا:

1. - أوبراهيم جوهر، 2015م، "المسكن من خلال الرسومات الصخرية بالطاسيلي أزجر"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 13، العدد 2.
2. - بعطيش عبد الجميد، 2013م، "المحتوى التاريخي للنقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 11، عدد 2 (عدد خاص).
3. - Hind Amel Mostari، بن نعمان اسماعيل، 2010م، "نظرة على القصور الصحراوية من خلال بعض مقالات الاستاذ الدكتور علي حملاوي رحمه الله"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 8، العدد 1.
4. - خلف محمد نجيب، 1998م، "مدخل لدراسة القصور الصحراوية-المدينة الصحراوية"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 3، العدد 1.
5. - شايد يسمينة؛ فرحات نجيب، 1999م، "مقبرة البقريات لموقع منخور بالصحراء الوسطى"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 4، العدد 1.
6. - صفيون حسيبة، 2015م، "كانت البريات تلدن في الصحراء الوسطى منذ سبعة آلاف سنة"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 13، العدد 2.
7. - عزوق عبد الكريم؛ علي حملاوي، 1998م، "تحريات بمنطقة متليلي"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 3، العدد 1.
8. - عزوق عبد الكريم، 2007م، "دراسة نموذجية لبعض المباني بقصر ورقلة"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 5، العدد 1.
9. - عزوق عبد الكريم، 2008م، دور القصور الصحراوية في التنمية السياحية، مجلة دراسات أثرية، مجلد 6، العدد 1.
10. - علي حملاوي، 1999م، "وضعية الآثار بمنطقة وادي ريغ الجنوب الشرقي الجزائري"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 4، العدد 1.
11. - علي حملاوي، 2008م، "البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة، وادي ريغ نموذجا"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 6، العدد 1.
12. - محمد بيدي، 2016م، "دور قصور الجنوب الغربي الجزائري في تجارة الصحراء ببلاد المغرب الأوسط، خلال القرنين 7-9هـ / 13-15م"، مجلة دراسات أثرية، مجلد 14، العدد 2.
13. - Ain Sebaa Nadjet, 2011, «Les gravures de serkout, une expression artistique du Sahara central», in **Revue d'études archéologiques**, Vol 9, N°1
14. - Boukhenouf Arezki; Filah Mohamed el Mostafa, 2011, «Contribution à l'étude d'Adobe composant les structures des K'sours Timacine et Nezla», in **Revue d'études Archéologiques**, Vol 9, N°1.